طلب من «أبو جهاد» عبوات ناسفة فقط.. وكان الجواب «احفظوا اسمه جيدا»

# عماد مغنية بعيون إسرائيلية وغربية: كر وفر طوال ثلاثة عقود

علي دريج | جريدة السفير

2010.02.16

«خمس عشرة سنة ركضت خلف عماد مغنية. مشيت كالظل في أعقابه، لم أتوقف عن جمع المعلومات والركض خلفه، لكنني لم أستطع أبدا أن أقترب منه، لقد كان رجلا متمكنا جدا، فهو لم يجر أبدا أي لقاء في مكان لا يوجد له مداخل .. مدخلان على الأقل، ودائما عمل على إخفاء أي ورقة أو تصوير يعود له.»

بهذه الكلمات يلخص روبرت بار أحد أبرز رجالات وكالة المخابرات الأميركية(السي أي إي) السابقين مسيرة رحلة مطاردة حافلة بالأسرار والغموض، على مدى 15 سنة قضاها متعقبا مغنية،»الشخصية الأكثر إثارة للجدل التي واجهتها أجهزة المخابرات الأميركية والإسرائيلية».

عماد مغنية أو «الحاج رضوان» الاسم الجهادي المحبب الى قلب رفاقه في المقاومة ممن عرفوه عن كثب وعايشوه وعملوا معه، استطاع أن يضلل أكثر 40 جهاز مخابرات في العالم، فهو لم يخضع أبدا لعمليات تجميل كما يُشاع عنه، وقد امتلك جوازات سفر بأسماء متعددة في رحلاته وصولاته وجولاته. وإذا كان المكان الأحب إلى قلبه وعقله هو ملعب الظل الموازي لميدان المقاومة في لبنان وفلسطين، فإن الاجراءات الأمنية والاحترازية التي كانت تتحكم بحركة الحاج رضوان لم تمنعه من ممارسة هوايته المفضلة، وهي لعب كرة القدم في الضاحية(الشياح)» حيث كان ينزل بشكل دائم الى هناك ويلعب الكرة مع بعض الشبان من دون أن يعرفوا أنه عماد مغنية، كما كان يهوى ركوب الدراجة والسفر الى الجنوب. فضلا عن التسوق بشكل طبيعي مع عائلته.»

كان «الحاج رضوان» يقدم نفسه بأسماء أخرى مثل «مرتضى» و»مصطفى» ويشارك في المطابخ الأمنية والسياسية، ويلقي محاضرات وندوات فكرية داخل حزب اللّه من دون أن يعرف المشاركون أن المتحدث أمامهم هو نفسه»الحاج رضوان».

لم يكن يعتمد نظام حماية مباشرة، وإنما كان يعتمد نظام التخفي البسيط، بحيث لم تكن شخصيته مكشوفة لأحد، بما في ذلك أقرب المقربين له، الذين تعاملوا معه على أنه «الشيخ رضوان» فقط.

قبل العام 1982 بدأ الاسرائيليون بملاحقته ورصده لاغتياله أو اعتقاله، بعدما اتهم بقيادة مجموعة عسكرية تابعة لحركة فتح من أجل تنفيذ عمليات عسكرية ضد الاحتلال، قبل أن ينتقل ليلعب الدور نفسه ضمن مجموعات «حزب اللّه» العسكرية بعد العام 1982، وثمة رواية تقول أنه عندما استدعى القائد الفلسطيني الشهيد خليل الوزير»أبو جهاد» عددا من القيادات والشخصيات اللبنانية لسؤالها عما تحتاجه قبيل الرحيل الفلسطيني من بيروت في آب 1982، تنافس قياديون حزبيون على الآليات والمدافع والصواريخ...فيما دخل مغنية بصمت طالبا من «أبو جهاد» ما تيسر من كميات الـ»تي ان تي»، فكان تعليق القائد الفلسطيني:» احفظوا اسم هذا الرجل.. لأنه يعرف ما يريد أن يفعل وربما يكون أحد أبرز قادة المقاومة اللبنانية في المرحلة المقبلة».

يقول أحد ضباط الموساد ويدعى» تدهار». ان مغنية أقم محطتي اتصال ليمنع التنصت الاسرائيلي على اتصالات»حزب اللّه» وفي المقابل حصل على أجهزة اتصالات حديثة ومتطورة من إيران ضمنت له التنصت على الإسرائيليين الى حد أنه كان يعلم بكل عملية تخطط لها إسرائيل من قبل بما فيها عمليات كانت تستهدفه شخصياً.

كل وحدات النخبة الاسرائيلية كلفت بمهمة ملاحقة مغنية ومنها وحدة 504، الشاباك، الموساد، وحدة الاستخبارات المعروفة بوحدة التنسيق، وحدة حرس الحدود التابعة للشرطة الاسرائيلية، وحدة يهلوم وهي استخباراتية تابعة للشرطة العسكرية وغيرها. ويقول ديفيد باركي، السابق في الوحدة 504 التابعة لجهاز الاستخبارات العسكرية الاسرائيلي» ان اسرائيل حاولت عدة مرات تصفية مغنية في أواخر الثمانينيات من القرن الماضي وقد جمعت كميات هائلة من المعلومات عنه لكن كلما حصلت على معلومات أكثر عنه زادت صعوبة الوصول اليه بسبب عدم وجود نقاط ضعف يمكن لإسرائيل عبرها الوصول إليه  مثل تناول المشروبات الروحية أو العلاقات النسائية او المخدرات.»

وتتهم المخابرات الأميركية»الحاج رضوان» بتدبير حادثة تفجير مقر المارينز في بيروت في العام1983 بالاضافة الى عملية خطف طائرة تابعة لشركة الخطوط الجوية العالمية TWA في بيروت في العام 1985، كما اتهمه الغرب بأنه يقف وراء خطف الرهائن الغربيين بلبنان في ثمانينيات القرن الماضي.

ومن بين» الانجازات» التي تسجلها أجهزة الاستخبارات الاسرائيلية في سجل عماد مغنية الآتي:

- تشرين الثاني 1982: تفجير»مبنى الحكومة» في صور.
- تشرين الثاني 1983: تفجير القاعدة العسكرية في صور .
- آذار 1985: عملية انتحارية عند بوابة «عقل» ضد قافلة عسكرية.
- تشرين الأول 1988: عملية انتحارية في المعبر الحدودي عند المطلة.
- آذار 1992: تفجير السفارة الاسرائيلية في الأرجنتين.
- تموز 1994: تفجير المبنى اليهودي في الأرجنتين.
- شباط 1999: تصفية قائد الوحدة العسكرية المختارة(يكال)، ايريز غيرشتين.

- تشـرين الأول 2000: اختطـاف ثلاثـة جنـود قـرب مـزارع شـبعا في إسـرائيل واختطـاف الضابـط الحنـان تنتبـاوم.
- مابين الـ 2000 والـ2006: نصب 13 ألف صاروخ وقذيفة في لبنان.
- تموز 2006: قتل 8 جنود وخطف اثنين عند الحدود(عملية الوعد الصادق في عيتا الشعب).

الإخفـاق الأكبـر الـذي يسـجل في تاريـخ الموسـاد والـذي بـدأ في أعقـاب الانسـحاب الإسـرائيلي مـن جنـوب لبنـان في العـام ألفيـن، كان نجاح»حـزب اللّـه» بتجنيـد عمـلاء إسـرائيليين لـه، مـن بينهـم ضبـاط وجنـود في الجيـش مـن خـلال إغرائهـم بالمـال والمخـدرات. هـذا الجانـب أقلـق الاسـرائيليين كثيـرا الى حـد خصـص رئيـس أركان الجيـش، السـابق، موشـيه يعالـون، مليونيـن ونصـف مليـون شـيكل( 350ألـف دولار) للشـرطة والجيـش لمواجهـة هـذه الظاهـرة. لكـن النتائـج جـاءت فاشـلة إذ تمكـن «حـزب اللّـه» مـن تجنيـد أربـع شـبكات إضافـة الى أفـراد، وقـد وضعـت هـذه العمليـات في خانـة الشـهيد مغنيـة:

الشـبكة الأولى: كشـف عنهـا في تمـوز 2002 عندمـا ألقـي القبـض عـلى نسـيم نسـر وهـو ابـن لأم يهوديـة وأب لبنانـي. في العـام 1992 هاجـر الى اسـرائيل لكنـه بقـي عـلى تواصـل مـع عائلتـه اللبنانيـة. وبحسـب ملفـه في المحكمـة الاسـرائيلية، فقـد تمكـن أحـد قـادة «حـزب اللّـه» مـن التأثيـر عـلى شـقيقه الـذي أثّـر عـلى نسـيم، فـراح ينفـذ الطلبـات وقـدم الى «حـزب اللّـه» معلومـات وخرائـط دقيقـة حـول الطـرق في الشـمال الفلسـطيني وقـام بتصويـر بعـض المرافـق العامـة والمواقـع العسـكرية.

الشـبكة الثانيـة: تجنيـد مواطنيـن مـن الغجـر وقـد اعترفـا بأنهمـا تاجـرا بالمخـدرات واضطـرا الى التعـاون مـع «حـزب اللّـه» لقـاء المـال بسـبب تراجـع تجـارة المخـدرات وارتفـاع ثمنهـا في شـكل كبيـر، بعـد الانسـحاب الاسـرائيلي.

الاثنـان قدمـا المعلومـات لـ»حـزب اللّـه» وقامـا بتفعيـل وكلاء لهمـا في إسـرائيل، زودوهمـا بالصـور والخرائـط التفصيليـة عـن الطـرق داخـل القـدس وفـي منطقـة الشـمال وببرامـج كومبيوتـر تتضمـن معلومـات عـن إسـرائيل وجيشـها.

الشـبكة الثالثـة: وهـذه كانـت الصدمـة الكبيـرة لقـادة الاسـتخبارات الاسـرائيلية إذ ضمـت عـددا مـن ضبـاط الجيـش الاسـرائيلي بقيـادة العقيـد عمـر الهيـب الـذي جنـد تسـعة جنـود آخريـن للعمـل في شـبكة التجسـس لمصلحـة «حـزب اللّـه» وإرسـال معلومـات ووثائـق بالغـة الحساسـية والسـرية والخطـورة: برامـج كمبيوتـر عـن العمليـات العسـكرية السـرية للجيـش، وطـرق نشـاطه، والمسـالك التـي يسـتخدمها في العمليـات، وخطتـه الحربيـة، والمواقـع والاسـتحكامات ومعلومـات عـن عـدد مـن قـادة الجيـش الاسـرائيلي ومسـاكنهم وتحركاتهـم وتنقلاتهـم.

الشـبكة الرابعـة: ضمـت عـددا كبيـرا مـن اليهـود، بينهـم عاملـة نظافـة مـن كريـات شـمونة، وصديقاهـا شـلومو موزيـس وشـالوم بيرتـس بالاضافـة الى 11 جنديـا في الجيـش وهـؤلاء أبقـت إسـرائيل تفاصيـل هوياتهـم طـي الكتمـان.

تعرض «الحاج رضوان» للعديد من محاولات الاغتيال والأسر من قبل أجهزة المخابرات والموساد، منها محاولة تمت في أوساط الثمانينات، عندما وصلت الى بعثة الموساد في باريس معلومات تفيد ان مغنية وصل الى العاصمة الفرنسية، وعلى الفور أجرى رئيس بعثة الموساد آنذاك عوزي اراد اتصالات مع نظيره تشاك كونمان رئيس السي اي ايه المحلي. وقد التقى الاثنان وقررا تخصيص كل الجهود لإيجاد مغنية: العملاء والمعلومات والاستخبارات وكل ما يصل لليد، وفعلا بدأت الملاحقة ولكنها سرعان ما تلاشت في مهدها خلال يوم واحد، فقد نجح مغنية بالتملص من الفرنسيين واختفى تاركا وراءه عملاء محيطين.

أما المطاردة الثانية لمغنية، التي استعرضتها الصحافة الاسرائيلية، فقد كانت قبل ذلك بمدة قصيرة، وبدأت بعد العملية التي نفذت ضد السفارة الاميركية في بيروت بتنفيذ وتخطيط مغنية ،عقل(إضافة الى عشرات آخرين) أحد قادة الـ»سي اي ايه» بوب ايمز، والذي كان رئيس قسم العمليات في الـ»سي اي ايه» في الشرق الأوسط، وهو شخص ماهر ولامع، وهو بحسب التقديرات أرفع شخصية أميركية قتلها مغنية، حيث كان أيمز يطمح لترؤس الـ سي اي ايه، وكان من المفترض أن يتوجه الى تل أبيب للالتقاء بنظرائه هناك إلا أنهم انتظروه ولم يصل.

في أواخر التسعينيات سنحت فرصة أخرى لاغتيال عماد مغنية، إلا أنها لم تحصل على مصادقة لجنة قادة الأجهزة الأمنية الاسرائيلية بعد أن عبر البعض عن شكوكهم فيها، وبحسب التقديرات فغن رئيس الوزراء الإسرائيلي حينذاك بنيامين نتنياهو خشي من توجيه الأمر بتنفيذ العملية خلافا للتوصيات.

في العام 1996 سرت شائعة لدى أميركا أن مغنية على متن سفينة باكستانية قبالة السواحل القطرية. وقد جرت عملية كبيرة لاعتقاله من قبل البحرية الاميركية حيث كانت ستعتبر «انتقاما جميلا من مغنية» بسبب الاشتباه في تورطه في مقتل الكثير من أفراد البحرية بسبب عدم القدرة من التأكد ما اذا كان مغنية على متن السفينة. وقبل ذلك بسنة أرادت الولايات المتحدة القبض على مغنية أثناء رفضت السماح للطائرة بالهبوط خشية الدخول في مواجهة مع مغنية ورفاقه.

يقول مغنوس رانستروب، الخبير المتخصص بشؤون «حزب اللّه» في كلية الدفاع الوطني السويدية في استوكهولم، والذي تعقب نشاطات مغنية لسنوات عدة: « أسأل نفسي أحيانا ما اذا كان مغنية شخصا حقيقيا أم شيئا من نسج الخيال، الا ان وكالات الاستخبارات التي كنت اتصل بها كانت متأكدة من وجوده».